

٧- محاورات أفلاطون

الجزء الثاني

كريتون أو راجب المواطن

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

أشخاص الحوار : سقراط ، كريتون
مكان الحوار : سجن سقراط

سقراط : وأنه لو عسى رأى الواحد ورضاه وعض عنهما
النظر ، واضعاً في اعتباره أى الكثرة التي لا تفقه من الأمر
شيئاً ، أفلا يعاني ضروراً ؟

كريتون - أنه بغير شك يعانيها

سقراط - وماذا عساها تكون تلك الشرور ؟ الام تنجو ؟
وأى شيء تصيب من الشخص المتورد ؟

كريتون - لا ريب في أنها ستصيب منه الجسد ، فذلك
ما تقوى على هدمه الشرور

سقراط - ذلك جد جميل ، أليس ذلك حقاً يا كريتون
بالنسبة إلى الأشياء الأخرى : ولا حاجة بنا إلى ذكرها تفصيلاً ؟
أبني أنت تتبع رأى الجبهة ونحشاها في موضوعات العدل
والظلم ، والجليل والقيبح ، والخير والشر ، وهي ما نحن الآن
بصدده بحثه ، أم تتبع في ذلك رأى الرجل الواحد الذي يفهمها ،
والذي يجب أن يكون له منا هبة وإجلال أكثر مما يكون
لسائر الناس أجمعين ، والذي إن نبذنا قوله فأنما هدم في أنفسنا
جانباً كان يرجى له أن يقوم بالعدل وأن يسوء بالظلم ، أليس فينا
ذلك الجانب ؟

كريتون - إنه موجود بسقراط ، ولا شك في وجوده

سقراط - خذ مثلاً شبيهاً بهذا : هب أننا انتصحنما بما
ينصح به هؤلاء الذين لا يفقهون فأفسدنا من أنفسنا جانباً ،
نصلحه الصحة ويتلفه المرض - أفنكون الحياة جديرة بالبقاء
إذا ما فسد ذلك ؟ وإنما أعني به - الجسد

كريتون - نعم

سقراط - أفى وسمنا أنت نعيش وأجسامنا مصابة بالشر
والفساد ؟

كريتون - كلا ولا ريب

سقراط - وهل تساوى الحياة شيئاً إذا ما فسد من الإنسان
جزؤه الأسنى ، ذلك الذي تقومه العدالة ويفسده الجور ؟ أفيمكن
أن يكون ذلك العنصر الذي يرتبط أمره بالعدل والجور - مهما
يكن شأنه في الإنسان - أدنى منزلة من الجسد ؟

كريتون - كلا ولا شك

سقراط - هو إذن أرفع مقاماً

كريتون - هو أرفع مقاماً إلى حد بعيد

سقراط - إذن فلا ينبغي بإصاح أن نأبه لما نقوله الجبهة عنا ،
إنما يجب أن نصنى لحكم الحقيقة ، كما نستمع إلى رأى ذلك
الواحد الذي يفهم كنه العدل والظلم ، فأنت إذن قد وقعت في
الخطأ حين ارتأيت وجوب العناية بما يقوله الدهاء في الظلم
والعدل ، والخير والشر ، والزائن والشائن ، يقول أحد :
« ولكن الدهاء في مقدورها إعدامنا »

كريتون - نعم يا سقراط ، سيكون ذلك بغير شك رد
ما تقول

سقراط - هذا حق ، ولكن مع ذلك يدهشني أن أرى
الحجة القديمة لا تزال فيما أحسب قائمة قوية كما كانت ،
وأحب أن أعرف إن كنت أستطيع أن أقول هذا القول في
قضية أخرى - وهي أن ليست الحياة حقيقة بالتقدير ما لم تكن
قبل كل شيء حياة خيرة ؟

كريتون - نعم بلى لنا أن نبحث هذه أيضاً

سقراط - والحياة الخيرة تعادل الحياة العادلة الشريفة -

أليس هذا كذلك صحيحاً ؟

كريتون - نعم إنه صحيح

سقراط - سأنتقل من هذه المقدمات إلى البحث عما إذا
كان واجباً على أن أحاول الفرار بغير موافقة الأثينيين ،

أم إن ذلك لا يجوز ؛ فإن كنت على حق صريح في القرار ، حاولته ، وإن لم أكن ، امتنعت . أما سائر الاعتبارات التي ذكرتها عن المال وضيمّة الأخلاق وواجب تربية الأطفال ، فهي كما بلغتني ، ليست إلا تعاليم الدهماء الذين لو استطاعوا لما أبوا أن يضيفوا إلى الحياة أناساً ، كما أنهم لا يتعففون عن أن يوردوا الحنف أناساً ، وتكفيهم في كلتا الحالتين أو هن الأسباب . أما وقد وصلنا بالجدل إلى هذا الحد ، فقد بقيت لدينا مشكلة واحدة جديرة بالبحث ، وهي : هل نكون على حق في الهروب بأنفسنا ، أو في تحميل سوانا عناء عوننا في الفرار ، لقاء تقدم جزاء وشكوراً أم لا نكون ، فإن كانت الأخيرة فلا ينبغي أن يحسب حساباً للموت ، أو لما شئت من السكوارث التي قد تنجم عن بقاء هنا

كريتون - أحسبك مصيباً يا سقراط ، فكيف سبيلنا إذن إلى البحث ؟

سقراط - لننظر معاً في الأمر ، فإن استطعت لما أقول تفصيلاً فافعل ، وسأقتنع بك ، وإلا فأمسك يا صديقي العزير ، ولا تقل ثانية بأنه يجب عليّ أن ألوذ بالفرار برغم إرادة الأثينيين ، وليتني أجد منك إقناعاً ، ولشد ما أربغ في هذا على ألا يكون ذلك مخالفاً لما أراه حكماً سيديداً . ونفضل الآن فانظر في موقفى الأول ، وحاول ما استطعت أن تجيب عما أقول

كريتون - سأبذل في ذلك وسى

سقراط - أفيجوز لنا القول بأنه لا ينبغي لنا قطعاً أن نتماد الخطأ ، أم أن فعل الخطأ مقبول حيناً مرذول حيناً آخر ، أم أن فعله أبداً شر ووصمة عار كما سبق لي القول الآن وسلمنا بصحته معاً ؟ أفنبذل الآن كل ما سمحنا لأنفسنا به منذ أيام قلائل ؟ أم أننا قضينا هذا العمر الطويل ، يحاور بعضنا بعضاً في حماسة وإخلاص ، لكي نوقن ونحن في هذه السن بأننا لا نفضل الأطفال في شيء ؟ أم نتق ثقة قاطمة بصحة ما قيل من قبل ، من أن الجور دائماً شر وعار على الجائر ، برغم ما يرى الدهماء ، وبرغم ما ينجم عن ذلك من نتائج ، حسنة كانت أم سيئة ؟ هل تؤيد هذا ؟

كريتون - نعم

سقراط - إذن يجب ألا نفعل الخطأ
كريتون - يقينا يجب ألا نفعله
سقراط - وإذا أصابنا الضرر فلا تردّه بضرر مثله ، كما تتخيل كثرة الناس ، لأنه يجب ألا نصيب أحداً بضرر
كريتون - واضح أن ذلك لا يجوز
سقراط - ثم هل يجوز لنا أن نفعل الشر يا كريتون ؟
كريتون - لا يجوز قطعاً يا سقراط
سقراط - وما رأيك في رد الشر بالشر ، وهي أخلاق الدهماء - أذلك عدل أم ليس بالعدل
كريتون - ليس بالعدل
سقراط - فلأن نصيب أحداً بشر كأن تصيبه بضرر
كريتون - صحيح جداً

سقراط - إذن لا ينبغي لنا أن نأخذ بالتأر ، ولا أن نرد الشر بالشر لأحد ما ، كأننا ما كان الشر الذي ابتلانا به ، وأحب أن ننظر في الأمر يا كريتون ، لترى هل كنت حقاً تغني ما تقول ، ذلك لأنه لم يأخذ بهذا الرأي يوماً ، ولن يأخذ به إلى آخر الدهر فريق من الناس كبير . ولا سبيل إلى اتفاق بين من يقرون هذا الرأي ومن لا يقرونه ، فما بد من أن يزدري بعضهم بعضاً ، عند ما يرون كم بينهم من شقة الخلاف . حدثني إذن : أنت متفق معي ومؤيدى في مبدئى ذلك ، وهو أن ليس من الحق إيقاع الضرر ، ولا الأخذ بالتأر ، ولا رد الشر بالشر ؟ أمسلم أنت بهذا مقدمة لحديثنا ، أم أنت منكر له راغب عنه ؟ لقد كان ذلك مذهبي منذ عهد بعيد ، وما يزال كذلك ؛ فإن كنت ترى غير ذلك رأياً ، فهات ما عندك ؛ أما إن كنت بمد هذا كله لا تزال عند رأيك الأول ، انتقلت معك في الحديث خطوة أخرى

كريتون - إنني ثابت عند رأيي ، فتستطيع أن تسير في الحديث سقراط - سأنتقل إذن إلى الخطوة الثانية التي يمكن أن توضع في صيغة هذا السؤال : أينبنى للإنسان أن يفعل ما يراه حقاً ، أم ينبغي له أن ينقض الحق

كريتون - إنه يجب على الإنسان أن يفعل ما يظنه حقاً
سقراط - ولكن ما تطبيق هذا إن صح ؟ أأست أسمى إلى

أحد إن تركت السجن برغم إرادة الاثنينين ؟ أو على الأصح ، ألسنت أخطيء في حق أولئك الذين يبنون أن يكونوا من أبعد الناس عن الأساءة ؟ ألا يكون ذلك تطبيقاً لمبادئ التي سلمنا مبادئها ؟ ماذا تقول في هذا ؟

كريتون - لست أدري يا سقراط ، فلا أستطيع أن أقول شيئاً سقراط - إذن فانظر إلى الأمر على هذا الوجه : هب أنني هممت بالأبوق (أو إن شئت فسم هذا العمل بما أردت من أسماء) فجاءت إلى القوانين والحكومة تسألني : « حدثنا يا سقراط ، ماذا أنت فاعل ؟ تريد بفعله منك أن تهز كيانتنا - أعني القوانين والدولة بأمرها بمقدار ما هي في شخصك ماثلة ؟ هل تتصور دولة ليس لأحكام قانونها قوة ، ولا تجد من الأفراد إلا نبذاً واطراحاً ، أن تقوم قائمتها ، فلا تندك من أساسها ؟ » فهاذا نجيب يا كريتون عن هذه العبارة وأشباهاها ؟ وسيكون مجال القول واسماً لكل إنسان ، وللخطيب البليغ بنوع خاص ، يهاجمون هذا الشر الذي ينتج عن أطراح القانون الذي لا بد لحكمه من النفاذ . وربما أجبنا نحن : « نعم ، ولكن الدولة قد آذنتنا ، وجارت علينا في قضائنا » هب إنني قلت هذا

كريتون - جميل جداً يا سقراط

سقراط - سيجيب القانون : « أفسكان ذلك ما قطعته معنا من عهد ، أم كان لازماً عليك أن تصدع لما حكمت به الدولة ؟ » فإن بدت على من قولهم هذا علائم الدهشة ، فربما أضاف القانون قوله : « أجب يا سقراط بدل أن تفتح لنا عينيك : وقد عهدناك مسائلًا وجيباً . حدثنا ، ما شكاتك منا ، تلك التي تسوغ لك محاولة هدمنا وهدم الدولة معاً ؟ فوق كل شيء ، ألم نأت بك إلى الوجود ؟ ألم يتزوج أبوك من أمك بموئنا فأعقباك ؟ قل إن كان لديك ما تعترض به على أولئك الذين ينظمون الزواج منا ؟ » وهنا لا بد من إجابتي أن لا « أو على أولئك الذين منا ينظمون طرائق التغذية والتربية للأطفال ، وفي ظلها نشأت أنت ؟ ألم تكن القوانين التي نهضت بهذا على حق في أن طلبت إلى أيك أن يدربك في الموسيقى ورياضة البدن ؟ » وهنا يلزم أن أجب أن قد كانت على حق : « حسناً ، فإن كنا قد أنينا بك

إلى العالم ، ثم أطعمناك فأنشأناك ، أفأنت جاحد أنك قبل كل شيء ، ابننا وعبدنا كما كان آباؤك من قبل ؟ فإن صح هذا فلسنا وإياك سواسية ، فلا تظن أن من حقت أن تفعل بنا ما نحن بك فاعلون ، وهل يكون لك أدنى حق في أن تنال أباك أو سيدك ، إن كان لك أب أو سيد ، بالضرب أو بالثتم أو بغير ذلك من السوء ، وإذا وقع عليك منه ضرب أو شتم ، أو أصابك منه غير ذلك من الشر ؟ - لا تخالك قائلًا بهذا . وإذا كنا قد رأينا أن من الصواب إعدامك ، أفنظن أن من حقت أن تجازينا إعداماً باعدام ؟ وأن تجازي وطنك بمقدار ما هو مائل فيك ؟ وهل تظن يا أستاذ الفضيلة الحق أن يكون لك في ذلك ما يبررك ؟ أيعجز فيلسوف مثلك أن يرى بأن وطننا أخلق بالتقدير ، وأنه أسمى جداً وأقدس من أم أو أب أو من شئت من سلف ، وهو أجدر بالاعتبار في نظر الآلهة وأهل الفطنة من الناس ؟ وإنه إن غضب وجب أن نهدي من سورته ، وأن نلاقه لقاءً وديماً خاشعاً أكثر مما نفعل حتى مع الوالد ، فإن تعذر إقناعه وجبت طاعته ؟ فإذا نالنا منه العقاب بالسجن أو بالجلد ، وجب أن نحتمل جزاءه في صمت ، وإن ساقنا إلى حومة الوغى حيث الجراح والموت ، كان لازماً أن ننصاع له باعتباره مصيباً ، دون أن يُسلم أحد منا أو يتقهقر أو يترك منصبه ، وواجب حتم على الإنسان أن يصدع بما يأمره به الوطن ، سواء أكان في ساحة الحرب أم في ساحة القانون ، إلا إذا غلب من وجهة نظره في ماهية العدل ، وإن كان لا يجوز له أن يقسو على أبيه أو أمه ، فما أوجب أن يكون رحيماً على وطنه « بماذا نجيب على هذا يا كريتون ؟ القوانين فيما تقول صادقة أم ليست بصادقة ؟

كريتون - أحسبها صادقة فيما تقول

(يتبع)

زكي نجيب محمود

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوتة الألمان

ترجمها الأستاذ أحمد حسن الزيات

نمناها ١٥ قرشاً